

# وقع أخبار الملاحم والفتن في القرارات السياسية

## لأبي جعفر المنصور

م. د. عمار عبودي محمد حسين نصار

جامعة الكوفة - كلية الآداب

توطئة :

### الدراسات الفكرية عن أبي جعفر المنصور ومعالجتها موضوعة البحث:

كتبت دراسات متعددة عن شخصية أبي جعفر المنصور ( 95-158هـ ) ، والإنجازات التي قام بها من وضع الأسس والقواعد لدولة بني العباس ، ولإسيما الجهود العلمية التي قام بها الباحثون العراقيون؛ فكانت دراسة الدكتور عبد الجبار الجومرد التي تعد الدراسة الرائدة في مجمل الدراسات عن هذه الشخصية ، إذ ركزت على الجانب السياسي في شخصية أبي جعفر والأعمال التي قام بها ، لكنه وقف وقفات سريعة على نزر بسيط من هذه الأخبار التي حملت في طياتها تأويلات متعددة، من دون الخوض في إبداء وجهات نظر حولها ، أو تبيان الأثر الذي تركته في الحدث الذي ترافق معها ، تلتها دراسة الدكتور حسن فاضل زعين عن سياسة المنصور الداخلية والخارجية ، ونرجح أن هذه الدراسة انعدمت فيها أي إشارة واضحة لأخبار الملاحم والتنبؤات في طيات النصوص التي وظفها في كتابه هذا ونقلها من مصادر بحثه إلا في موارد قليلة لا تتعدى أصابع اليد الواحدة ، فضلا عن إتيانها عرضا في أثناء سرد الحوادث ، وهنا يحق لنا أن نتساءل هل أن هذا الباحث قد أغفل إيراد هذه النصوص ودراسة تأثيرها في سياسة المنصور عن عمد ودراية لعدم قناعته وقبوله لمثل تلك الأخبار ؟ أم أنه لم يطلع على تلك النصوص؟ وهذا مما هو مستبعد ؛ لأن المصادر التي اعتمد عليها ولإسيما تاريخ الطبري ومقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى وغيرها من المصادر قد حفلت بنصوص مهمة بينت مقدار الأثر الذي تركته أخبار الملاحم والتنبؤات والمنجمين في قرارات المنصور وقناعاته وتوجهاته ، وأحسب أن الرأي الأول هو المرجح ، ولكن كان الأجدر أن يدلي برأيه في هذه النصوص مادامت منقولة عن مصادر متنوعة وأساسية ، وهذا مما يسجل مأخذاً على تلك الدراسة.

جاءت دراسة الدكتورة رمزية الأطرقي عن بناء بغداد في عهد أبي جعفر المنصور هي الأخرى مكملة لجهود السابقين عليها ، ولكن هذه الباحثة قد أغفلت هي الأخرى تماما الإشارة إلى الأخبار الغيبية التي رافقت اختيار المنصور لبغداد وطبيعة بنائها والوقت الذي اختاره المنجمون لذلك ، إذ اكتفت بإيراد رواية واحدة مسبقة إياها ببعض عبارات التوهين والتضعيف لها ، وهذا مما حدا بها إلى إسقاط أية رواية تذهب إلى هذا المنحى الغيبي ترد عليها في ثنايا بحثها .

وفضلا عما تقدم فقد درس المنصور في كتابات أخرى، وذلك في ضمن الدولة التي أسسها والعصر الذي عاش فيه ، إذ لامست تلك الدراسات هذه الشخصية وخصتها بالبحث ؛ وذلك في الأبحاث التي قام بها الدكتور عبد العزيز الدوري عن العصر العباسي الأول ، والدكتور فاروق عمر فوزي عن العباسيين الأوائل والثورة التي قاموا بها على بني أمية، يضاف إلى ذلك مجموعة من الدراسات التي كتبها الباحثون المصريون والعرب والمستشرقون عن الخلفاء العباسيين الأوائل ، إذ كانت تلك الدراسات والأبحاث تتسم بالمسح الأفقي لحوادث ذلك العصر والشخصيات التي أسهمت فيها وحركتها ، مما لم يكن هنالك هامش واضح لدراسة أثر مثل تلك الأخبار في حوادث ذلك العصر بصورة مستوعبة وشاملة ، ولكن مؤخرا كتب أحد المستشرقين (دمتري غوتاس ) دراسة مهمة عن المؤثرات اليونانية في الثقافة العربية ، إذ خص أبا جعفر المنصور بوقفات متأنية ومهمة في صفحات كتابه ، الذي تحدث فيه عن دور المنصور في جمع المنجمين وكتبهم ، وما أداهم دور

في نقل بعض منها إلى لغة الضاد ، فكان من الباحث أن استفاد من النتائج التي توصل إليها وطبيعة معالجته للنصوص التي وظفها في دراسته هذه.

تلك هي الجهود السابقة لدراسة هذه الشخصية ، ومدى تركيز أصحابها على موضوعة البحث المزمع الخوض فيها.

### أخبار الملاحم والتنبؤات في ذهنية المنصور قبل توليه الخلافة:

كان لأخبار الملاحم حضور في ذهن المنصور قبل أن يتولى الخلافة ، إذ كانت كلمات جده علي بن عبد الله بن عباس - وهو ما زال حدثاً - في مجلس سليمان وهشام ابني عبد الملك بن مروان مطبوعة في ذاكرته من تملكه وأخاه أبو العباس السفاح أمر هذه الأمة بعد بني أمية ([1]).

وفضلاً عن ذلك فإن بني العباس بمجملهم كانت تُسيرهم في ذلك الوقت مجموعة من الأخبار التي تتحدث عن نهاية ملك بني أمية على أيديهم ، وذلك مما سره علي بن أبي طالب D إلى عبد الله بن عباس إذ كان يزره العلم زقا ([2]) ، فضلاً عن تملك أبناء محمد بن علي (أبي العباس وعبد الله) الأمر على الرغم من صغر الأول عن الثاني وبقائه في ذرية الثاني منهم ، وذلك في صحيفة توارثوها عن أسلافهم عن الإمام علي D عرفت بصحيفة الدولة ، أو الصحيفة الصفراء ([3]).

أمام هذه الخلجات التي تُسير توجهات هذه الأسرة كان أبو جعفر المنصور قد نشأ بين هذه الأجواء ، لترافق ذلك مجموعة من المنامات والأحلام التي عضدت أخبار الملاحم تلك ، فقد تحدثت أم أبي جعفر عن منام رآته أيام حملها به ، إذ قالت : " لما حملت بابني أبي جعفر رأيت كأن أسداً خرج من فرجي فأقعى ، وزأر ، وضرب بذنبه ، فرأيت الأسد تقبل من كل ناحية إليه ، فكلما انتهى إليه أسد منها سجد له " ([4]) ، إلى غير ذلك من المنامات التي تحدث أبو جعفر نفسه عنها ورويته رسول الله e ويشراه إليه بالخلافة وفي عقبه حتى يقاتل الدجال ([5]) ، إذ أسهمت تلك المنامات بما أخبرت به لما تخبأه له الأيام من الأمور العظام ، حتى حين آلت إليه الخلافة أوصى أهل بيته وأبناء عمومته بحفظ تلك المنامات وكتابتها وتعليقها في أعناق صبيانهم ([6]).

يضاف إلى ما تقدم أن الرأي العام للمجتمع الإسلامي ، ولاسيما بعد استشهاد زيد بن علي (عليه السلام) عام 121 هـ ، قد أخذ يتدارس أخبار الملاحم وروايتها حتى أصبحت حديث العامة ، إذ وصف يعقوبي هذا السلوك الجمعي من قبل المجتمع آنذاك بالقول : "ولما قتل زيد وكان من أمره ما كان ، تحركت الشيعة بخراسان وظهر أمرهم وكثر من يأتيهم... وظهر الدعاة ورويت المنامات وتدورست كتب الملاحم " ([7]).

عاش المنصور في خضم هذا الجو المشحون بالأخبار الغيبية ليصل الأمر من تأثير مثل هذه الأخبار في عقلية وتفكيره ، أن عدّ الحوادث التي تخبر بها تلك الأخبار حتمية التحقيق ، لاسيما إذا صدرت من أشخاص لا يعرف عنهم الكذب والتدليس ، ذكر أبو الفرج الأصفهاني (ت 356 هـ) أن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قد أخبر عبد الله بن الحسن وبحضور المنصور وأهل بيته حين اجتماع بني هاشم بالأبواء (\*) لتوحيد جهودهم في إنهاء سلطان بني أمية ومحاولة عبد الله عقد البيعة لولده محمد الملقب بالنفس الزكية : " أن هذا الأمر والله ليس إليك ولا إلى ابنك ، وإنما هو لهذا - يعني السفاح - ، ثم لهذا - يعني المنصور - ، ثم لولده من بعده ، لا يزال فيهم حتى يأمرؤا الصبيان ، ويشاوروا النساء " فقال عبد الله : " والله يا جعفر ، ما أطلعك الله على غيبه ، وما قلت هذا إلا حسداً لابني " ! ، فقال : " لا والله ما حسدت ابنيك ، وإن هذا - يعني أبا جعفر - يقتله على أحجار الزيت ، ثم يقتل أخاه بعده بالطفوف ، وقوانم فرسه بالماء " ، فحينما سمع المنصور هذا الكلام تبع الإمام جعفر فقال : " أتدري ما قلت يا أبا عبد الله ؟ قال : أي والله أدريه ، وإنه لكانن " ([8]).

أضاف أبو الفرج ناقلاً تعليق الراوي لهذه الحادثة : فحدثني من سمع أبا جعفر يقول : " فانصرفت لوقتي فرتبت عمالي ، وميزت أموري تمييز مالك لها " ، حتى كان من المنصور أن سماه لأجل ذلك بالصادق ، ويستشهد بأقواله قاتلاً : قال لي الصادق جعفر بن محمد كذا وكذا ([9]).

لم تكن مصادر أخبار الملاحم عند المنصور منحصرة بما تناقله بنو هاشم والعلويين ، إذ أردفها بما تفوه به المنجمون من هذه الأخبار ، حتى جعلت من المنصور أن تصل قناعته بأخبارهم درجة أن تصفه المصادر التي أرخت وتحدثت عن حياته وسيرته بأنه أول خليفة من خلفاء المسلمين اعتنى بالمنجمين وقربهم إليه وترجم كتبهم ، حتى كان كلفا بها ومحبا لأهلها([10]) .

ابتدأت العلاقة بين المنجمين وأبي جعفر المنصور في هذه المرحلة المبكرة من حياته أيام بني أمية ، إذ سافقه المقادير أن يسجنه والي الأهواز من قبل مروان سليمان بن حبيب ، وذلك في مال أخذه من أحد بيوت الأموال في أحد كور فارس أيام ثورة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطالبي سنة 127هـ حينما ولاه أمرها ، وأراد هذا الوالي إسترجاعه منه([11]) ، وفي هذا الحبس التقى المنصور واحداً من أكبر منجمي المجوس في عصره ، ذلك هو: نوبخت المجوسي([12]) ، إذ تشير النصوص إلى محاوراة مهمة جرت بين الأخير والمنصور ، تحدث بها أحد أحفاد نوبخت إذ قال : " كان جدنا على دين المجوسية ، وكان غاية في علم النجوم نهاية ، وكان محبوبا بسجن الأهواز ، فقال : رأيت أبا جعفر وقد أدخل السجن ، فرأيت من هيئته ، وجلالته ، وسيماه ، ما لم أره لأحد قط فصرت من موضعي إليه وقلت : يا سيدي ، ليس بوجهك من وجوه أهل هذه البلاد ، فقال أجل يا مجوسي ، قلت فمن أي البلاد أنت؟ فقال : من أهل المدينة ، فقلت : أي مدينة ؟ ، فقال من مدينة الرسول ع فقلت: وحق الشمس والقمر إنك من ولد صاحب المدينة ، قال لا ولكنني من عرب المدينة ، قال فلم أزل أتعرف عليه وأخدمه حتى سألته عن كنيته فقال كنيته أبو جعفر ، فقال أبشر ، فوحد المجوسية لتملك جميع ما في هذه البلدة ، حتى تملك فارس وخراسان والجال ، فقال لي وما يدريك يا مجوسي؟ قلت : هو كما أقول ، فأذكر لي هذه البشرى فقال : إن قضي بشيء فسوف يكون ، قال : قلت : قد قضاه الله من السماء ، فطب نفسا " ، حتى حينما تولى المنصور الخلافة ، قصده نوبخت مذكرا إياه بكلماته في السجن ، فأكرمه واصطفاه وجعله من منجميه([13]) .

أورد البلاذري (ت 279هـ) تفاصيل هذا اللقاء بين المنصور ونوبخت بصورة مغايرة لما سبق ، إذ قال : " لما شخص أبو جعفر يريد عبد الله بن معاوية مر بمدينة فليل له : إن ها هنا منجما يقال له نوبخت ، فعدل إليه وسأله عما يؤول إليه حاله في وجهه فيما بعد ذلك ، فقال له نوبخت : أما أنت فسيصير إليك ملك العرب ، وأما وجهك هذا فسيناله فيه مكروه "([14]) .

أوصلت تلك النصوص التي تجمعت في مخيلة أبي جعفر إلى أنه أخذ يبشر بها في حله وترحاله ، إذ دونت المصادر نصوص جانب من المحاورات التي أجراها في حجته الأخيرة إلى بيت الله الحرام ، مع إخوته وأهل بيته ، وذلك في الأيام الأخيرة من خلافة مروان بن محمد عام 131هـ ، إذ أشار الأزدي إلى هذه الزيارة وأثرها الإعلامي في الدعوة لأمرهم ، وقت اجتماع الناس من كل حذب وصوب ، إذ قال : " وحج فيها إبراهيم بن محمد بن علي الذي يدعى الإمام ومعه إخوته وولده فاشتهروا بالحرمين ، ونفر حوله الناس "([15]) .

التقى المنصور في موسم الحج بمكة بمجموعة من الشخصيات وزعماء القبائل وأهل العلم ، حيث تبودلت بينه وبينهم بعض الأسئلة ، في وقت كان الجو العام وحديث الناس وقتذاك يدور حول أخبار الملاحم التي تتحدث عن قرب نهاية دولة بني أمية ، وترويج الدعاة العباسيين لهذه الأخبار بين الناس ، إذ نقل ابن قتيبة واحدة من هذه المحاورات بين المنصور وأحد زعماء تميم (شبيب بن شيبه التميمي ) ، إذ قال له الأخير : " يزعم أهل العلم بالكتاب إنه ستكون لكم دولة لاشك فيها تطلع مطلع الشمس وتظهر بظهورها " فرد عليه المنصور : " فأسأل الله خيرها ، وتعوذ به من شرها ، فخذ منها بخط يدك ولسانك منها إن أدركتها فرد عليه السائل أو يتخلف عنها أحد من العرب وأنتم سادتها ، قال نعم ، قوم يأبون إلا الوفاء لمن إصطنعهم ونأبى إلا طلبا لحقنا فننتصر ويخذلون كما نصر أولنا بأولهم ... "([16]) .

تبين لنا أمثال هذه النصوص مدى الأثر الذي تركته مثل هذه الأقاويل والأخبار في أذهان الناس ، حتى أخذوا يسألون أصحابها في أول فرصة يرونهم فيها ، وما تبينه إجابة المنصور للذي سأله ، عن مقدار تأثره فيها ودوره في إشاعتها بين الناس ، ولا سيما في أيام زحمة الحجيج حتى تنتشر مثل هذه الأخبار بين أوسع قدر ممكن بين الناس.

استمرت مثل هذه الإيماءات ترافق أبو جعفر وتشغل باله وتأخذ جانبا من تفكيره وتستوقفه الإشارات الواردة فيها ، وحتى بعد أن هرب هو وأخوه أبو العباس وعمه عبد الله بن علي متخفين من الحميمة قاصدين

الكوفة، بعد أن قبض مروان على أخيه إبراهيم الإمام وأوصاهم الأخير بشؤون الدعوة والدعاة ومتابعة الطريق الذي بدأه ، وفي طريقهم إلى الكوفة لقيتهم أعرابية على بعض مياه العرب وقد تقدم أبو العباس وأخوه أبو جعفر وعمه عبد الله فيمن كانوا معه إلى الماء ، فقالت : " تالله ما رأيت وجوها مثل هذه ما بين خليفة وخليفة وخارجي " فقال لها أبو جعفر : كيف قلت يا أمة الله ؟ قالت : والله ليلينها هذا ، وأشارت إلى السفاح ، ولتخلفنه أنت ، وليخرجن عليك هذا ، وأشارت إلى عبد الله بن علي " ([17]) .

تحققت تلك الأخبار المتقدمة التي بشر بها، وسمعتها وقرأها على أرض الواقع، وذلك بقضائهم على بني أمية ، وتولي أخوه أبو العباس السفاح المعروف بابن الحارثية الخلافة ، على الرغم من صغره عنه ؛ بل قبل ذلك من دون معارضة تذكر منه لهذا الأمر ، لما جاءت به الرواية في الملاحم من تقديم أخاه الأصغر عليه ، حتى أن أبا مسلم الخراساني حينما وصل إلى الكوفة بعد تقدمه إليها سأل عن ابن الحارثية الذي جاءت به الوصية ، لكي يعلن له بيعته وبيعة جنده بالخلافة ([18]) .

### دور أخبار الملاحم في حياة المنصور بعد توليه الخلافة:

بعد انتصار الثورة العباسية في إقصاء الأمويين عن الخلافة وإنهاء دولتهم، بويع أبو العباس السفاح (ابن الحارثية) أول خليفة عباسي ليتولى إمرة المسلمين الدينية والدنيوية، وبمبايعة هذا الخليفة بدأ العصر العباسي ، وبدأت معه مرحلة جديدة من الحوادث أسهمت بشكل أو بآخر بإعطاء الهوية والصيغة لهذا العصر، الذي حاول خلفاؤه الأوائل توظيف الأحاديث الغيبية التي ادعوا أن الرسول e قد أنبأ بها، التي تضمنت إخباراً بدولتهم حتى روت المصادر حديثاً منسوباً للرسول مفاده : " منّا السفاح ومنّا المنصور ومنّا المهدي " ([19]) .

بدأت هنالك مجموعة من المحدثين تروي عن البشائر بملك بني العباس في الأحاديث النبوية ، وما تناقله السلف في هذا الأمر من الأخبار ، لجعل هذه الدولة هي الدولة الخاتمة للتاريخ بمقاتلتها الدجال ، وإمتدادها إلى قيام الساعة ليسلموها إلى عيسى بن مريم ([20]).

لم يقتصر الأمر عند هذا الحد ؛ بل وظف المنصور الثقافات الأخرى للأمم المجاورة ، ولاسيما الثقافة الفارسية القديمة (الساسانية) ، إذ أكدت إحدى الدراسات الاستشرافية ([21]) : إن المنصور باستعانتة بمنجمي الفرس وعلى وجه التحديد النوبختيون وترجمتهم للكتب الفارسية القديمة المتعلقة بقرانات النجوم والكواكب قد وضع لبنات مهمة في معرفة العرب بالثقافة التنجيمية للفرس، وكان لهذه الثقافة التنجيمية التي أشيعت بين الناس ، أكبر الأثر في تمرير أيديولوجية العباسيين السياسية ، إذ إنها زودت سيادة الدولة العباسية التي كانت دورتها قد بدأت تواء ، على نحو ما رسمته النجوم وبأمر من الله في النهاية ، برسالة تتضمن إنذاراً إلى جميع الخصوم المحتملين للحكم العباسي، إن أي نشاط سياسي لهم محكوم عليه بالفشل.

ولذلك ألف أبو سهل النوبختي للمنصور كتابه المشهور (النهضتان) الذي كان أصله باللغة البهلوية ، فترجمه إلى العربية وأضاف عليه ما استجد له من معلومات حول المواليد وقراناتها النجمية، حتى إن الذي يستقرئ النصوص المنقولة من هذا الكتاب الضائع ليجد حقيقة ذلك ([22]) ، كذلك الحال في أمره بترجمة الكتاب المعظم عند الهنود في علم التنجيم (السندهند الكبير) ، الذي وظفه المنصور هو الآخر في تطوير ثقافته التنجيمية ([23]) .

ولأجل ما تقدم وظف العباسيون هذه الملكات - كما ذكرنا - لكي يمررونها أمام الشعوب والجماعات التي تتأثر بتلك الأخبار ، إذ لم يُول خلفاؤهم الأوائل هذه الأخبار والأحاديث اهتماماً منقطع النظير فحسب ؛ بل والمجتمع كذلك بإجهاض كل محاولة أو فكرة تحاول المساس بهيبة هذه الدولة وسلطانها باعتبارها محاولة محكوم عليها بالفشل والهزيمة بالترويج للحديث الذي مفاده : " سيكون لبني العباس راية فمن تبعها رشد ، ومن تخلف عنها هلك ، ولم يخرج الإمام منهم إلى غيرهم " ([24]) ، ولاسيما إن المجتمع قد خرج للتو من حكم دولة لعبت أخبار الملاحم والنجوم التي كان الناس يتداولونها ويتدارسونها في منتدياتهم دوراً مؤثراً في الترويج لسقوطها ([25]).

أسهم المنصور بشكل أو بآخر بتشكيل هذه المفاهيم وترسيخها في أذهان الناس بوصفه ولي العهد والشخص الثاني في الدولة، إذ وصل تأثير هذه الأخبار في مؤسسة الخلافة حداً أن يتطير أخوه أبو العباس

ويضطرب اضطراباً شديداً لمجرد أن أتته بيعة أقاليم السند وإفريقية في يوم واحد لخبر سمعه أنه : " إذا فتح السند وإفريقية مات القائم من آل محمد " [26] ؛ لذا استغرب عم السفاح (عيسى بن علي) من وجل ابن أخيه حين سماعه بنياً قدوم وافدي أهل إفريقية والسند ، إذ قال له: " إن رجلين بالباب أحدهما وافد أهل السند " فوقع عليه زمع وقال: " الآخر وافد أهل إفريقية بسمعهم وطاعتهم ؟ " فقلت نعم ، فسقط المشط من يده ثم قال: " سبحان الله كل شيء باند سواه نعيث والله نفسي حدثني إبراهيم الإمام عن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب عن علي بن أبي طالب عن رسول الله e انه يقدم عليّ في يوم واحد في مدينتي هذه وافدان وافد السند والآخر وافد إفريقية بسمعهم وطاعتهم وبيعتهم فلا يمضي بعد ذلك ثلاثة أيام حتى أموت وقد أتاني الوافدان فأعظم الله أجرك يا عم في ابن أخيك فقلت له : كلا يا أمير المؤمنين إن شاء الله ، فقال: بلى إن شاء الله لأن كانت الدنيا حبيبة إلى فصحة الرواية عن رسول الله e أحب إليّ منها والله ما كذبت ولا كذبت ، فقلت يا أمير المؤمنين هل وجدت شيئا فأذكر ؟ عليّ قولي وكشفي وجهي، وقال : يا سبحان الله أقول لك أن رسول الله e قال انه يموت فتسألني عما أجد لا تعد لمثل هذا الذي كان منك " [27].

بدأت خلافة المنصور سنة 136 هـ لتستمر أكثر من اثنتين وعشرين سنة لينتهي عهده سنة 158 هـ ، حتى إن المؤرخين قالوا عنه : " ولد أبو جعفر في ذي الحجة وأعذر في ذي الحجة وولي في ذي الحجة ومات في ذي الحجة " [28] .

صاحب خلافة هذا الرجل المديدة حوادث جمة ، بدءاً من تصفية خصومه السياسيين كأبي مسلم الخراساني وعمه عبد الله بن علي وآل عبد الله بن الحسن إلى بناء عاصمة دولته ( بغداد ) ، فضلاً عن علاقاته مع وزرائه وولاته وأهل بيته والقرارات التي اتخذها في ضوء علاقاته تلك ، التي لمسنا فيها توظيفاً واضحاً من قبله لأخبار الملاحم والمنجمين في القرارات التي اتخذها في معالجة تلك الحوادث والخطوب التي رافقتها.

كانت حادثة مقتل أبي مسلم من الحوادث التي تحدثت بها أخبار الملاحم ، إذ أشارت النصوص إلى أن أبا مسلم نفسه كان مهتماً بهذه الأخبار ، فقد ذكر ابن خلكان (ت 681 هـ ) رواية في تدبير المنصور لقتل هذا الرجل ، وأحتمل أنه سمع من أبي مسلم ما قرأه في أخبار الملاحم في مقتله ، فأراد إيهامه واستدراجه إلى المكان الذي قتل فيه ، إذ تضمنت هذه الرواية وصفاً لهذا الأمر ، قال ابن خلكان : " كان أبو مسلم ينظر في (كتب الملاحم) ، ويجد خبره فيها ، وأنه مميت دولة ومحبي دولة وأنه يقتل ببلاد الروم ، وكان المنصور يومئذ برومية المدائن التي بناها كسرى ، ولم يخطر بقلب أبي مسلم أنها موضع قتله ؛ بل راح وهمه إلى بلاد الروم " [29].

لم يشك أبو مسلم في حقيقة المكيدة التي دبرها له المنصور ، فكان ما كان من قتله ، حتى إن المنصور كان يخبر بعض من اتصل به أنه يجد في أخبار الملاحم أن عين بن عيين بن عيين يقتل ثلاثة أعين [30] ، وفي مورد آخر تذكر المنصور مقولة لأبي العباس السفاح في مصير أبي مسلم من أن الذي يقتله اسمه عبد الله ، ولم يكن يحسب أنه يقتله ، إذ ظن أن عبد الله بن علي هو الذي يقتله حينما أرسله لقتال الأخير ، فلما سلم منه وصنع ما صنع ، فقلت في نفسي : " أنا عبد الله ، أقتله " فقتله [31].

### بناء مدينة بغداد وارتباط ذلك بأخبار الملاحم :

ترافقت أخبار الملاحم أيضاً حينما عزم المنصور على بناء عاصمة جديدة لدولته ، فقد أسهبت المصادر التي تحدثت عن الجهود التي بذلها المنصور في تحديد المكان المناسب لبناء مدينته الجديدة [32] ، رافق هذه الجهود مجموعة من الحوادث التي تضمنت إشارات متعددة إلى ما ذكرته أخبار الملاحم حول بناء مدينة في الموضع الذي بنيت فيه بغداد ، وإن عدت إحدى الدراسات الروايات الغيبية حول اختيار المنصور لموقع بغداد نسجاً من الخيال ، ولذلك لم تولها أي اهتمام يذكر ، من الجمع والدراسة والوقوف على مضامينها وطبيعة الرواة لها وخلفياتهم الفكرية [33].

تنوعت مصادر تلك الأخبار بين إسلامية ونصرانية ، فقد تضاربت الروايات حول حقيقة التأثير الذي مارسه تلك الأخبار في بناء المنصور لمدينته الجديدة ، إذ أشارت النصوص إلى أن أبا جعفر قد التقى بأحد الرهبان القاطنين في الأديرة المنتشرة على شواطئ دجلة [34] ؛ ليخبره أن الذي يبني مدينة هنا يدعى مقلصاً [35] ، أن الرهبان النصاري هم المبشرون للمنصور ببناء بغداد في الموضع الذي أختاره

المنصور لها ؟ أم أن هذه البشائر قد تحدث بها أسلافه ؟ مع العلم أن أحد الباحثين المتخصصين بأحوال المسيحيين في دار الإسلام ، قد قلل من القيمة العلمية للأخبار التي تناقلتها المصادر الإسلامية حول أثر أخبار الملاحم التي رواها الرهبان النصارى في بناء المنصور لمدينة بغداد واختياره لموضعها ، إذ قال : " إن بناء بغداد على مقربة من الأديرة المسيحية ، دفع الرهبان في صنع الأساطير المتنبئة بتأسيس المدينة " .[36]

إن النصوص التي بين أيدينا تظهر أن المنصور كانت تراوده - في أثناء البحث عن موقع مدينته الجديدة - مجموعة من الروايات التي تناقلها أسلافه عن أهل البيت D حول بنائه مدينة على دجلة وكانت تلك الروايات أكثر وضوحاً وانتشاراً في المصادر من سابقتها ذات الأصول الكتابية ، إذ نقل اليعقوبي إحدى تلك الخلجات فقال : " فصار المنصور إلى بغداد ، فوقف بها وقال ما اسم هذا الموضع ؟ قيل له بغداد ، فقال والله المدينة التي أعلمني أبي محمد بن علي أنني أبنيها وأنزلها وينزلها ولدي من بعدي ... حتى يتم تدبير الله لي وحكمه فيَّ " وتصح الروايات وتبين الدلائل والعلامات " (37).

تعضد هذه الرواية ما رواه الخطيب البغدادي من روايات وأحاديث مسندة إلى الإمام علي D ، حول ما يحل بمدينة تبني من قبل المشرق بين دجلة ودجيل على يد واحد من بني العباس ، تشيد بالأجر والخشب والجص والذهب يسكنها على حد قوله D شرار الخلق وجبابرة أمتي ... " (38) ، وفي رواية أخرى ذهب الصحابي عبد الله بن عباس أبعد من ذلك في أن نزول الآية "حم ، عسق" (39) كان في رجل من ولد بني العباس ينزل على نهر من أنهار المشرق فيبني عليه مدينتين يشق بينهما ذلك النهر (40).

بعد إيراد هذه الروايات يحق لنا أن نتساءل : هل إن هذه الروايات هي التي كانت ماثلة أمام المنصور حتى قال كلمته السابقة ليتم تدبير الله لي وحكمه فيَّ " وتصح الروايات وتبين الدلائل والعلامات ؟ .

اختار أبو جعفر المنصور وقتاً محدداً لبدء بناء مدينته الجديدة بغداد ، مستعيناً بذلك بمجموعة من المنجمين على رأسهم نوبخت المجوسي ، إذ اختاروا له طالعا نجمياً محدداً بينه البيروني (ت 440هـ) ووصفه بالقول : " وأصحاب أحكام النجوم يحتاجون إلى معرفة أمثال هذا الوقت والتاريخ لمعرفة التحاويل والإنتهاءات والأدوار والتسييرات من لدنه حتى يستنبطون الحكم " (41) ، وقد أنبأ نوبخت وولده أبا سهل المنصور أنه يجد في طالع هذه المدينة : " إنه لا يموت فيها خليفة من الخلفاء أبداً ! فلاقت هذه الكلمة إرتياحا من قبل المنصور فرد عليهم قائل : " ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم " (42).

إن هذه الكلمات التي قالها نوبخت ، برهن الخطيب البغدادي على واقعيته وانطباقها على جميع حوادث وفيات الخلفاء العباسيين ، ومواضع من قتل منهم إلى وقت تصنيف كتابه (43).

### أخبار الملاحم في ثورات وحركات المناوئين للمنصور

اندلعت على المنصور ثورات متعددة ، فضلا عن قيام حركات مناوئة عليه من قبل بعض أقاربه وأعوانه استهدفت تقويض سلطانه ، لكنه استطاع مواجهتها والقضاء عليها وتصفية رؤوسها وقادتها .[44]

ترافقت مع أخبار حوادث هذه الثورات والحركات ؛ نصوص متعددة أظهرت مقدار الأثر الذي أدته أخبار الملاحم وتنبؤات المنجمين في مسار بعض تلك الأحداث ، والأثر الذي تركته في توجهات المنصور وإدارته لهذه الأزمات الخطرة ، التي كاد بعضها أن يطيح بحكمه ، إذ واجه المنصور مشكلة حقيقية وذلك بالترويج لفكرة المهدي المنقذ في عهده بين أفراد المجتمع ، من قبل أحد الثائرين عليه ، إذ وظف محمد بن عبد الله بن الحسن (النفيس الزكية) لهذا اللقب ونسبه إليه حتى استمال الناس به ، ليصل الأمر - كما يقول أبو الفرج الأصفهاني (ت356هـ) - إلى أن لهجت العوام بمحمد بن عبد الله تسميه (المهدي) (45)، حتى وصل الأمر بأبيه إلى أن قال لبني هاشم في اجتماع (الأبواء) : " قد علمتم أن ابني هذا هو المهدي فهلما فلتبايعاه " (46)، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ؛ بل كان من مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أن وصلت إلى مسامعه هذه الأخبار فما كان منه إلا أن قال لأبيه عبد الله : " ما فعل مهديكم " (47).

أمام هذا الإصرار من قبل عبد الله بن الحسن في عد ولده محمد هو المهدي الذي بشرت به الرواية ، كان من الإمام الصادق D أن انبرى ليوضح حقيقة الوهم والحلم الذي كان يمني بها عبد الله نفسه وولده بهذا الأمر ، إذ بين لهم ما هو بمهدي هذه الأمة ! ولئن شهر سيفه ليقتلن كما وجده في علم وكتاب أبيه علي من خلفاء هذه الأمة ([48]) ، ولذلك قال المنصور للرسول الذي أتاه بخبر خروج محمد عليه : " قتلته والله إن كنت صادقاً " ([49]) .

كان شغل المنصور الشاغل حينما تولى الخلافة هو أن إعلان محمد وأخوه إبراهيم البيعة له ويظهرها أمام الناس ([50]) ، إذ حققت دعوة محمد إقبالا منقطع النظير ليس من العوام فحسب ؛ بل ومن أهل العلم أيضا ، إذ أورد أبو الفرج الأصفهاني بعضاً من الروايات حول طبيعة الشخصيات التي بايعت محمد النفس الزكية ، ومدى الأثر الذي تركه تلقيب نفسه بالمهدي في جمع الناس حوله ومبايعتهم إياه ، حتى كان من الدفوع التي سوغ بها أحد المبايعين لمحمد والخارجين معه من الفقهاء أنه ظن أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية ([51]) .

أمام هذا الهوس من قبل الناس بشخصية محمد النفس الزكية وتلقيب نفسه بالمهدي ، كان من المنصور أن يوظف أخبار الملاحم والغيبات في إيجاد ثقافة غيبية مضادة لتلك التي يزّوج لها محمد ، إذ كان يشيع بين خاصته ومقربيه أن أمر محمد إلى زوال ، وذلك بما أخبره به الإمام جعفر بن محمد الصادق D ، قائلًا : إن الملك فيهم حتى تملك الصبيان وتشاور النساء ([52]) ، فقد ذكر الطبري عن أحد خواص المنصور أنه كان قائما على رأسه وهو يسأله عن مخرج محمد ، إذ بلغه أن عيسى بن موسى قد هُزم - وكان متكئا فجلس - فضرب بقضيب معه مصلاه ، وقال : كلا ، فأين لعب صبياننا بها على المنابر ومشورة النساء ! ما أتى لذلك بعد ! ([53]) .

فضلا عن ذلك فقد ألقى في روع المنصور أحد حجابيه - بعدما رآه متفكراً في أمر محمد - فنقل له قولا سمعه من الذين كانوا من مرافقي مروان بن محمد (سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومي) في أثناء معركة الزاب عند ملاقاته عبد الله بن علي العباسي حينما تقدم بجيوشه ، أنه سمعه يقول حينما عرف أن الأخير يقاتله : " والله لَوَدِدْتُ أن علي بن أبي طالب يقاتلني مكانه ، إن علياً وولده لاحظ لهم في هذا الأمر " ، فرد عليه المنصور مبهوراً : " أنشدك الله ! أحدثك هذا ابن جعدة ! " فرد عليه أن زوجته طالق إذا لم يكن حدثه بذلك الذي أخبره إياه " ([54]) .

ترافق مع هذا الخبر أيضاً، ما نفثه إليه أحد المنجمين بعدما وجد المنصور مهتماً وجزاعاً لأمر خروج محمد ، فقال له : " ما جزعك منه ؟ فوالله لو ملك الأرض ما لبث إلا تسعين يوماً " ([55]) .

إن هذه الأخبار التي أشيعت في مجلس المنصور أعطته نوعاً من الطمأنينة بمآل الثورة التي أعلنها عليه محمد بن عبد الله النفس الزكية ، ولكن لم يفق المنصور من نشوة انتصاره على محمد وقضائه على ثورته إلا وجاءت الأخبار إليه بخروج إبراهيم أخو محمد عليه وسيطرته على البصرة والأهواز ، إذ قامت هذه الثورة بصورة مغايرة لما جرت عليه ثورة أخيه محمد ، فقد حقق إبراهيم انتصارات مهمة على الجيوش التي بعثها أبو جعفر لملاقاته ، ليصل الأمر أن بدأت قواته تزحف على الكوفة لاحتلالها، مما حدا بالمنصور على حد وصف بعض المؤرخين أن يعد العدة للهرب إلى الري ([56]) .

في هذه اللحظات بدأ الشك يراود المنصور في حقيقة الأخبار التي تحدثت عن صفاء الملك له ولذريته ، إذ قال لبعض بني عمومته بعد أن وصلت إليه أنباء هزيمة قائد جيشه عيسى بن موسى : " أترون أن هذا الأمر الذي بلغنا باطلا ؟ إن الأمر فينا حتى تلعب به صبياننا ! " ([57]) ، وفي رواية آخر يسأل المنصور حاجبه الربيع بعدما انكسرت جيوشه : " ويلك يا ربيع ، فكيف ولم ينلها أبناؤها ، فأين إمارة الصبيان ؟ " ([58]) .

ترافقت أخبار المنجمين مع أخبار هذه الثورة أيضاً ، إذ أخبر أبو سهل ابن نوبخت المنصور بعد أن رافق الأخير إلى الكوفة ووجده من الهم والتفكير في أمر إبراهيم حداً لا يعرف قراره : " لا بأس فإن الظفر لكم " فلم يلبث عنده غير برهة حتى جاء عيسى برأس إبراهيم " ([59]) .

أشاع المنصور في ضمن الحرب النفسية التي شنها على أولاد عبد الله المحض محمد وإبراهيم ، أن له مرأة حصل عليها من أسلاب بني أمية ، أهداها رأس الجالوت (زعيم اليهود وكبيرهم) إلى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، تتميز هذه المرأة بأن لها القابلية على الكشف عن أعداء الإنسان وتحركاتهم وأماكن وجودهم ، فأدعى المنصور أن بحوزته هذه المرأة فهو من خلالها يعرف أخبار مناوريه وحركاتهم ، إذ أخبر جنده يوما بوجود إبراهيم في بغداد في معسكر جنده متواريا عن أعين الناس ([60]) ، وكذلك الحال بالنسبة إلى محمد النفس الزكية الذي أنبأ المنصور واليه على المدينة بصفة المكان الذي توارى فيه عن الأنظار([61]) .

مثلت هاتين الروايتين التين لا تعدوان كونهما من الحرب الإعلامية التي بثها المنصور في الآفاق، صورة من الصور ،التي حاولت السياسة العباسية من خلالها إسباغ هالة على شخصية المنصور أمام معارضيه ، و إلا فما هو تفسير ورود مثل تلك الأخبار في ثورتي محمد وإبراهيم أبناء عبد الله حصراً ، من دون باقي الثورات وعدم ورودها في أخبار المنصور الأخرى ؟ ، إن ذلك يدل على أن المنصور قد أراد تكوين صورة مهيمنة له في مخيلة المحكومين لديه ، إذا ما علمنا أنه قد وظف الإرث الفارسي الساساني في تشكيل الصورة المقدسة لشخصية الحاكم وتمريرها على الناس ؛ حتى يتمكن من فرض سلطانه عليهم من دون مساعلة أو معارضة ([62]).

### توظيف المنصور لأخبار الملاحم في علاقاته مع ولاته وأهل بيته:

أظهرت النصوص التي تواترت في المصادر تأثير الدور الذي أسهمت به أخبار الملاحم في مسار العلاقة بين المنصور وبعض ولاته وعماله وأهل بيته ، إذ نقل المؤرخون أن الأشخاص الذين كانوا متصلين بالمنصور كانوا على علم بمدى تأثير مثل تلك الأخبار في قناعاته وتوجهاته ، إلى درجة أنه أرسل إلى واليه على مصر موسى بن كعب بن عيينة بكتاب عزله، على الرغم من قصر مدة ولايته على مصر التي لم تتعد السبعة أشهر، قائلا فيه : "إني عزلتك عن غير سخط ولكن بلغني أن عاملاً يقتل بمصر يقال له موسى فكرهت أن تكونه " ([63]) ، وذلك على الرغم من مكانة هذا الرجل القائد ودوره في الدعوة العباسية ، إذ كان من دعائها الكبار ، وتحمل صنوف التنكيل والتعذيب من الأمويين وولاتهم شيئا كثيرا، وكان صاحب حبة وإثارة لدى المنصور([64]) ، حتى إنه استغرب من موقف المنصور هذا في الأمر بعزله من منصبه، لإطلاعه على خبر من أخبار الملاحم أن والياً على مصر أسمه موسى يقتله أهلها ، وبقي أهل مصر يرددون ذلك الخبر إلى أن قتل أهل مصر أميرهم من قبل المهدي موسى بن مصعب بعد ذلك بسبع وعشرين سنة ، وذلك عام 168 هـ في ثورة عارمة عليه، بسبب تعسفه في الحكم وجباية الأموال من غير وجه حق([65]) ، إذا ما علمنا أن أخبار الملاحم لقيت رواجاً منقطع النظير في ذلك الوقت في أحاديث أهل مصر في منندياتهم ومجالسهم ، إلى درجة شخّص العلماء والمحدثون هذه السمة فيهم([66]) .

ومما يستغرب حقا أنّ هذا الموقف لم يتكرر مع والي المنصور على مصر في أواخر عهده ( موسى بن علي بن رباح اللخمي ) ، إذ بارك تعيين هذا الوالي في إدارة هذه المنطقة المهمة من دون الاعتراض على كون اسمه موسى على الرغم من أن أخبار الملاحم ذكرت أن أميراً لمصر يسمى موسى سيقنتله أهلها!([67]) ، والظاهر أن والي مصر هذا لم تكن تربطه بالمنصور رابطة قوية حتى يخشى فقدته وخسارته كسابقه ، إذ ولاه مؤقتاً في أواخر أيامه بتوثيق من أحد المقربين إليه ، إلى حد أنه لم يلتقه مطلقاً ([68]).

اتخذ المنصور هذا النهج أيضاً في تسيير علاقاته مع أهل بيته وأقاربه، إذ حثهم على تعليم أولادهم وذرائعهم رؤيا رآها في منامه مدعياً فيها ظهور شخص رسول الله e إليه في الكعبة مناوئاً له لواء ، ومبشراً إياه بالملك له ولذريته حتى يقاتلوا به الدجال ([69]).

فضلا عن ذلك فترويح المنصور للقب المهدي وإسقاطه على ولده محمد، كانت الغاية منه إيجاد وسيلة ضغط على كل المحاولين لتوظيف هذا اللقب في حراكهم السياسي أمثال محمد بن عبد الله النفس الزكية ، وكذلك الطامحين بخلافة المنصور من بني أهل بيته وأولاده ومن بني العباس ، إذ وصف أبو الفرج الأصفهاني هذه الخلجات التي تعترك في نفس المنصور من أنه كان يريد البيعة لابنه محمد وأطلق عليه لقب المهدي ، على الرغم من اعتراض ابنه جعفر عليه في ذلك، فأمر باحضار الناس فحضروا وقامت الخطباء فتكلموا وقالت الشعراء فأكثرُوا في وصف المهدي وفضائله ومحاولة إسقاط الصفات والبشائر التي تحدثت بها الأحاديث عن المهدي على شخصية محمد بن المنصور(المهدي العباسي)([70]).



نقل الأصفهاني أيضا جانباً من هذه المجالس التي حضر فيها الشعراء وأهل الحديث والخطباء ، وكان من بينهم مطيع بن إياس إذ قال واصفا موقف الأخير: فلما فرغ من كلامه في الخطباء وإنشاده في الشعراء قال للمنصور : " يا أمير المؤمنين حدثنا فلان عن فلان أن النبي 7 قال المهدي منا محمد بن عبد الله وأمه من غيرنا يملؤها عدلا كما ملئت جورا وهذا العباس بن محمد أخوك يشهد على ذلك، ثم أقبل على العباس فقال له أنشدك الله هل سمعت هذا؟ فقال: نعم مخافة من المنصور فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدي " ، قال ولما انقضى المجلس وكان العباس بن محمد لم يأنس به قال أرأيتم هذا الزنديق إذ كذب على الله عز وجل ورسوله 7 حتى استشهدني على كذبه فشهدت له خوفا وشهد كل من حضر عليّ بأنّي كاذب، وبلغ الخبر جعفر بن أبي جعفر وكان مطيع منقطعاً إليه يخدمه فخافه وطرده عن خدمته، قال وكان جعفر مآجناً فلما بلغه قول مطيع هذا غاظه وشقت عليه البيعة لمحمد فأغلظ له في القول بفحش الكلام لكذبه على الله ورسوله بتوصيف أخيه محمداً بالمهدي " ([71]).

من جانب آخر صرح المنصور لأحد خاصته بحقيقة القرار الذي اتخذ في أمر اطلاق نعت:(المهدي) على ولده محمد ومبتغاه في ذلك ، إذ قال - بعد أن خرج محمد بن عبد الله النفس الزكية بالحجاز وتسمى بالمهدي وذاع أمره - ما نصه : " والله ما هو به ، وأخرى أقولها لك لم أقلها لأحد قبلك ، ولا أقولها لأحد بعدك وابني والله ما هو بالمهدي الذي جاءت به الرواية ، ولكنني تيمنت به وتفاعلت به " ([72]).

لكنه في مجلس عام لم يصرح بهذا الشيء، إذ بقي على موقفه المعلن في عد ولده هو المهدي الذي بشرت به الأحاديث ، إذ وبخ أحد مواليه ؛لأنه نقل مقالة محمد النفس الزكية حينما جمع أصحابه قائلا : " إنكم لا تشكون أني أنا المهدي ، وأنا هو " ، فما كان من المنصور إلا أن قال : " كذب عدو الله ؛ بل هو ابني " ([73]).

وظف المنصور أخبار الملاحم أيضا في وصيته لولده المهدي ، إذ أعطت هذه الوصية صورة واضحة لمدى تأثير وهيمنة تلك الأخبار والكتب المصنفة فيها على اهتمام المنصور وتوجهاته ، نقل الطبري مضامين تلك الوصية ، والمحاور التي احتوتها في رواية مفادها : " دعا المنصور ولده المهدي فقال له إنني لم أدع شيئا إلا قد تقدمت إليك فيه وسأوصيك بخصال والله ما أظنك تفعل واحدة منها وكان له سبط فيه دفاتر علمه وعليه قفل لا يأمن على فتحه ومفتاحه أحدا يصير مفتاحه في كم قميصه ، وكان حماد التركي يقدم إليه ذلك السبط إذا دعا به فإذا غاب حماد أو خرج كان الذي يليه سلمة الخادم ، فقال للمهدي انظر هذا السبط فاحتفظ به فإن فيه علم آباءك ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة فإن أحنك أمر فانظر في الدفتر الأكبر فإن أصبت فيه ما تريد وإلا فالثاني والثالث حتى بلغ سبعة فإن ثقل عليك فالكراسة الصغيرة فإنك واجد فيها ما تريد وما أظنك تفعل وانظر هذه المدينة فأياك أن تستبدل بها فإنها بيتك وعزك " ([74]).

نستنتج من هذا النص الخطير ( الذي يفصح فيه المنصور عن مصادر علمه بأخبار الملاحم لولده المهدي )، موضع الإجابة عن حقيقة النصوص السابقة التي أظهرت مدى تأثير المنصور في هذه الأخبار ، فضلا عن ذلك ، فإن هذه الوصية إن صحت ، فإنها تفسر لنا كثيرا من النصوص المبهمة التي تحتاج إلى تأويل، التي ظلت موضع شك وتدبر ، ولا سيما مصير صحيفة الدولة التي ورثها بنو العباس من أبي هاشم التي فيها مآل أمرهم ([75]) ، إذ أشارت الروايات العباسية إلى أن هذه الصحيفة قد فقدت بعد أن دفنها بنو العباس تحت إحدى شجرات الزيتون في الحميمة حينما طلبهم مروان بن محمد ([76]) ، ولكن النص السابق يفصح عن بقاء هذه الصحيفة بدليل عبارة المنصور ( فيها علم آباءك )، وهنا نتساءل : هل أن المنصور أراد حجب هذه الصحيفة عن بني العباس حتى لا يطلعوا على مضامينها ، وتكون وسيلة لأن تسيل لعاب بعض الطامحين إلى الحكم في توظيف نصوصها الغيبية لصالحها ، وكما حصل مع عبد الله بن معاوية حينما اطلع عليها أيام بني أمية ([77]).

أثرت كلمات المنصور تلك في توجهات ولده المهدي ، وهذا مما يدفعنا إلى الميل بالقول أن المنصور أراد تنشئة ابنه على الاهتمام بتلك الأخبار وتقصيها والبحث عن المهتمين فيها ؛ حتى عرف المهدي بين المؤرخين بتأثره بأخبار الملاحم والعرفاء والسحرة والمنجمين ، فضلا عن طلب الكتب التي اهتمت بتلك المعارف والعلوم من ملوك وأباطرة الدول والمقتنين لها ([78]).

بقيت كلمات المنصور تتردد في ذهن ولده المهدي لتصل حدا أن الاستشهاد بها أمام أولاده ، فقد نقل ابن قتيبة الدينوري رواية مفادها : " أن المهدي قال يوماً لولده الرشيد وقد ولاه العهد بعد ولده موسى : أي

بنّي والله ما أردت استخلافك ولا هممت به لحادثة سنك ، وقد كان قال لي جدك أبو جعفر وأنت يومئذ قد ترعرت في أول رؤية رآك ، إن ابني هذا الأعين سيلبي هذا الأمر ويسير فيه سيرة صالحة ، فقلت يا أبت أنتظن ذلك ؟ قال ما هو بالظن ولكنه اليقين ، ويكون ملكا بضعا وعشرين سنة وتقتله الحمى الربع" [79].

بينت هذه النصوص استمرارية التأثير الذي تلعبه أخبار الملاحم في أذهان الخلفاء العباسيين ومدى إسهام المنصور في الترويج لمثل تلك الأخبار والوصية لأولاده بالتعرف عليها وتوظيفها في قراراتهم السياسية.

استمرت أخبار الملاحم ترافق المنصور ويرافقها حتى أيامه الأخيرة ، إذ كان يردد كثيرا : " ولدت في ذي الحجة ، وأعذرت في ذي الحجة ، ووليت الخلافة في ذي الحجة ، وأحسب المنية تكون في ذي الحجة" [80] فكان كما قال ، فقال لولده المهدي : " يا أبا عبد الله إني ولدت في ذي الحجة ووليت في ذي الحجة وقد هجس في نفسي أنني أموت في ذي الحجة من هذه السنة وإنما الذي حداني على الحج ذلك فاتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين" [81] ، فحين هل عليه شهر ذي الحجة من عام 158 هـ وافته المنية وهو في مكة ودفن فيها .

أظهرت الأوراق السابقة الدور الذي لعبته أخبار الملاحم والتنبؤات في مجمل الحوادث التي رافقت حياة المنصور الحافلة بالمتغيرات ، بدءاً من طفولته ونعومة أظفاره إلى أن وافته المنية، وقد وجدنا شخصية الإمام الصادق D وأقواله في حقه - ولأسيما تلك التي حدثه فيها بملكه أمر هذه الأمة - مهيمنة عليه حتى كان يستشهد بها ويرددها ، فضلا عن اهتمامه بأخبار النجمين وتقريبهم إليه وترجمة الكتب المؤلفة في هذا العلم وتحصيلها ، حتى عرف بين خلفاء الإسلام بهذا الأمر، فضلا عن أن ما قام به من توظيف لهذه الأخبار ليس في صراعاته السياسية مع معارضيه حسب ؛ بل حتى مع أهل بيته وعشيرته ، لما يلزمه من أثر لهذه الأخبار في أذهان الناس ، فكان في تسمية ولده محمد بالمهدي ووصيته له بالاعتناء بأخبار الملاحم التي تركها مدونة له في دفاتر سبعة لخير دليل على هذا التوظيف ، إذ فتحت توجهات المنصور هذه الباب على مصراعيه لبني العباس في الاهتمام بأخبار الملاحم والتنبؤات وطلبها من الرواة والجامعين لها ، وهذا مما يدفع إلى ترصد الأثر الذي لعبته تلك الأخبار في خلفاء المنصور ومقايسته بما أثرته في الأخير في دراسة مستقلة .

## هوامش البحث

- [1] مؤلف مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص 139-140.
- [2] مؤلف مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص 28.
- [3] ينظر: مؤلف مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص 184-185 ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ج 7 ، ص 148-149.
- [4] المسعودي ، مروج الذهب ، ج 3 ، ص 295 ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج 32 ، ص 303-304.
- [5] ينظر: البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج 4 ، ص 262.
- [6] ينظر: الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج 1 ، ص 64 ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج 32 ، ص 305 - 306.
- [7] ( ينظر: تاريخ يعقوبي ، ج 2 ، ص 228.
- (\*) الأبواء : قرية في الطريق بين مكة والمدينة بعد فيها قبر آمنة بنت وهب أم الرسول 7 ، معجم البلدان ج 1 ، ص 79.
- [8] مقاتل الطالبين ، ص 226.

- [9] مقاتل الطالبين ، ص 226.
- [10] ابن صاعد الأندلسي ، طبقات الأمم ، ص 213 ، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص 216.
- [11] ينظر: البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج 4 ، ص 243 ، الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، ص 98-99.
- [12] ينظر: عباس إقبال ، آل نوبخت ، ص 25.
- [13] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج 10 ، ص 54 - 55 ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج 32 ، ص 305 - 306 .
- [14] ينظر: البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج 4 ، ص 244 .
- [15] الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص 118 .
- [16] ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج 2 ، ص 190.
- [17] مروج الذهب ، ج 2 ، ص 267 .
- [18] تاريخ الطبري ج 7 ، ص 427 .
- [19] ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج 32 ، ص 280.
- [20] ينظر: ابن حماد ، الفتن ، ص 52 ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج 4 ، ص 262 ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج 1 ، ص 64 ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج 32 ، ص 305 - 306.
- [21] ينظر: دمتري غوتاس ، الفكر اليوناني ، ص 7472.
- [22] ينظر: ابن النديم ، الفهرست ، ص 125.
- [23] ينظر: البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة ص 351.
- [24] ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج 32 ، ص 281.
- [25] ينظر: تاريخ اليعقوبي ، ج 2 ، ص 228.
- (\*) الألباء : قرية في الطريق بين مكة والمدينة فيها قبر آمنة بنت وهب أم الرسول 7 ، معجم البلدان ج 1 ، ص 79.
- [26] ينظر: البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج 4 ، ص 237-238 .
- [27] ينظر: الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج 10 ، ص 53-54.
- [28] تاريخ الطبري ج 8 ، ص 61 ، تاريخ القضاء ، ص 122.
- [29] وفيات الأعيان ج 3 ، ص 153.
- [30] المسعودي ، مروج الذهب ، ج 3 ، ص 316.

- [31] ينظر: البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج 4 ، ص 261 - 262.
- [32] ينظر: تاريخ الطبري ، ج 7 ، ص 610-615 ، تاريخ بغداد ، ج 1 ، ص 60-65 ، معجم البلدان ، مادة ( بغداد ) .
- [33] ينظر: الأطرقي ، بناء بغداد في عهد المنصور ، ص 35.
- [34] ينظر عن الأديرة المنتشرة في ضواحي بغداد وأسمائها وتاريخها ، الشابشتي ، الديارات ، ص 3-78 .
- [35] ينظر: تاريخ الطبري ، ج 7 ، ص 615 ، تاريخ بغداد ، ج 1 ، ص 87.
- [36] فيبيه ، أحوال النصارى في عهد العباسيين ، ص 53.
- [37] البلدان ، ص 6.
- [38] ينظر: تاريخ بغداد ، ج 1 ، ص 64.
- [39] سورة الشورى أية : 1 ، 2.
- [40] ابن المنادى ، الملاحم ، ص 189.
- [41] الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص 335-336.
- [42] سورة الحديد: أية 21 ، الحموي ، معجم البلدان ، ج 1 ، ص 648-649.
- [43] ينظر: تاريخ بغداد ، ج 1 ، ص 89.
- [44] ينظر: زعين ، سياسة المنصور ، ص 99-345.
- [45] مقاتل الطالببيين ، ص 184.
- [46] المصدر نفسه ، ص 185.
- [47] المصدر نفسه ، ص 229.
- [48] المصدر نفسه ، ص 187.
- [49] تاريخ الطبري ، ج 7 ، ص 564 ، مقاتل الطالببيين ، ص 234.
- [50] تاريخ الطبري ، ج 7 ، ص 518.
- [51] مقاتل الطالببيين ، ص 254.
- [52] المصدر نفسه ، ص 226.
- [53] تاريخ الطبري ، ج 7 ، ص 518.
- [54] تاريخ الطبري ، ج 7 ، ص 563 ، مقاتل الطالببيين ، ص 233.

- [55]) المصدر نفسه، ج 7 ، ص 563 ، مقاتل الطالبين ، ص 243 .
- [56]) تاريخ اليعقوبي ، ج 3 ، ص 118 ، تاريخ الطبري ، ج 7 ، ص 649 .
- [57]) المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج 6 ، ص 86.
- [58]) مقاتل الطالبين ، ص 298.
- [59]) المقدسي ، البدء والتاريخ ج 6 ، ص 86.
- [60]) تاريخ الطبري ، ج 7 ، ص 534.
- [61]) المصدر نفسه، ج 7 ، ص 534-535.
- [62]) ينظر: دمتري غوتاس، الفكر اليوناني ، ص 77.
- [63]) الكندي ، الولاة والقضاة ، ص 80-81.
- [64]) ينظر: ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج 61 ، ص 196-198.
- [65]) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 2 ، ص 55 .
- [66]) ينظر: الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج 1 ، ص 129 ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج 1 ، ص 249.
- [67]) الكندي ، الولاة والقضاة ، ص 90.
- [68]) الكندي ، الولاة والقضاة ، ص 90.
- [69]) ينظر: الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج 1 ، ص 64 ، ابن عساكر، تاريخ دمشق ، ج 32 ، ص 305 - 306.
- [70]) الأغاني ، ج 13 ، ص 313.
- [71]) الأغاني ، ج 13 ، ص 313.
- [72]) مقاتل الطالبين ، ص 218.
- [73]) مقاتل الطالبين ، ص 184.
- [74]) تاريخ الطبري ، ج 8 ، ص 61.
- [75]) ينظر: تاريخ اليعقوبي ، ج 2 ، ص 209.
- [76]) ينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ج 7 ، ص 149.
- [77]) ينظر: المصدر نفسه ج 7 ، ص 150.
- [78]) ينظر: ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص 11-12.
- [79]) الإمامة والسياسة ، ج 2 ، ص 205.

[80] المسعودي ، مروج الذهب ، ج3، ص317.

[81] تاريخ الطبري ، ج 8 ، ص 103.  
مصادر البحث

- 1- ابن أبي الحديد ، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله ( ت 656 هـ/1258م).  
شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2(القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، 1965).
- 2- الأزدي ، أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس ( ت 335 هـ/946م).  
تاريخ الموصل ، تحقيق علي حبيبة، (القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1967).
- 3- البلاذري ، أحمد بن يحيى ( ت 279 هـ/892 م ).  
أنساب الأشراف ، تحقيق سهيل زكار ، ط1 ، (بيروت ، دار الفكر ، 1996).
- 4- البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت444هـ/1052 م ).  
الآثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق برويز إذ كاني ، (طهران ، وزارة الثقافة و الإرشاد الإسلامي ، 2001م).
- تحقيق ما للهند من مقولة ، (دائرة المعارف العثمانية النظامية ، حيدر آباد الهند 1955).
- 5- ابن تغري بردي ، أبو المحاسن يوسف ( ت 874 هـ/1469م).  
النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، ( القاهرة ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ، 1963م).
- 6- ابن حماد ، أبو عبد الله نعيم المروزي ( ت 228 هـ/842م).  
الفتن ، تحقيق سهيل زكار ، ط1 ، ( مكة المكرمة ، المكتبة التجارية ، 1992م).
- 7- الحموي ، ياقوت بن عبد الله الرومي ( ت 626 هـ/1282م).  
معجم البلدان ، (بيروت ، دار صادر ، لا.ت).
- 8- الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي ( ت 463 هـ/1070م).  
تاريخ بغداد ، ط1 ، (القاهرة ، مطبعة السعادة ، 1931 ).
- 9- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ( ت748 هـ / 1347م).  
تذكرة الحفاظ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الدكن، 1365هـ .
- 10- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ( ت 911 هـ/1505م).  
حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، 1968 ).

- 11- الشابشتي ، أبو الحسن علي بن محمد ( ت 388 هـ / 998م ).
- الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، ط2 ، (بغداد مكتبة المثنى ، 1966).
- 12- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، ( ت 310 هـ / 885 م ).
- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط5 ، ( القاهرة ، دار المعارف ، 1977 ) .
- 13- ابن العبري ، غريغوريوس بن هارون ( ت 685 هـ / 1286م ).
- تاريخ الزمان ، ترجمة إسحاق رملة ، ط2 ( دار المشرق ، بيروت ، 1991 ).
- تاريخ مختصر الدول ، ط2 ، ( المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1984 ).
- 14- ابن عساكر ، علي بن الحسين ، ( ت 571 هـ / 1175 م ).
- تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق علي شيري و آخرون ، ( دار الفكر ، بيروت ، 2000 ) .
- 15- أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين ( 356 هـ / 966م ).
- الأغاني ، تحقيق علي شيري ، ط1 ، ( دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992م ).
- مقاتل الطالبين ، تحقيق سيد أحمد صقر ، ط2 ( قم ، المكتبة الحيدرية ، 1421 هـ / 2001م )
- 16- ابن قتيبة ، أبو عبد الله محمد بن مسلم ( ت 276 هـ / 889م ).
- الإمامة و السياسة ، تحقيق علي شيري ، ط1 ، ( قم ، دار الشريف الرضي ، 1413 هـ / 1993 ) .
- 17- القضاعي ، أبو عبد الله محمد بن سلامة ، ( ت 454 هـ ).
- الإنباء بآباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط 2 ( بيروت ، المطبعة العصرية ، 1420 هـ / 1999 م ) .
- 18- الكندي ، أبي عمر محمد بن يوسف ( ت 350 هـ / 961م ).
- الولاية و القضاة ، تحقيق رفن كست ، ( بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، 1908 ) .
- 19- المسعودي ، علي بن الحسين ( ت 346 هـ / 957م ).
- مروج الذهب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ( القاهرة ، مطبعة السعادة ، 1958 ) .
- 20- المقدسي ، مطهر بن طاهر ( ت بعد سنة 355 هـ / 965م ).
- البدء و التاريخ ، نشر كلمان هوار ، ( باريس ، 1903 ) .
- 21- المنادي ، أحمد بن جعفر بن محمد ( ت 336 هـ / 947م ).
- الملاحم ، تحقيق عبد الكريم العقيلي ، ( قم ، دار السيرة ، 1418 هـ / 1998م ).
- 22- مؤلف مجهول ، ( من أعلام القرن الثالث الهجري ) .

أخبار الدولة العباسية، تحقيق، عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، ط1، (بيروت، دار الطليعة، 1971).

23- ابن النديم ، محمد بن اسحاق ( ت 385هـ/995م ).

الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، (طهران ، 1971) .

24- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح ( توفي بعد سنة 292هـ/904م).

التاريخ ، تحقيق ادوارد سخاو ، (بيروت ، دار صادر ، 1988م). \*البلدان ، المطبعة العلمية النجف ، 1917.

مراجع البحث:

1- الأطرقجي ، رمزية.

بناء بغداد في عهد أبو جعفر المنصور ، مطبعة النعمان ، النجف ، 1975.

2- إقبال ، عباس الإشتياني.

آل نوبخت، ترجمة هاشم الأسدي ،(مؤسسة النشر التابعة للأستانة الرضوية ، مشهد ، 1426هـ .

3- غوتاس ، دميري .

الفكر اليوناني والثقافة الإسلامية ، ترجمة نقولا زيادة ، ط 1 ، ( بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 2003).

4- زعين ، حسن فاضل.

سياسة أبو جعفر المنصور الداخلية والخارجية ،(دار الرشيد ، بغداد ، 1981).

5- فيبيه ، جان.

أحوال النصارى في عهد الخلافة العباسية، ( بيروت ، دار المشرق ، 1986م).

:Abstract

The news and predictions of epics were the motive to the Abbasi Khalifate Abu Jaafer El-Mensoor to employ them in his political decisions and to make use of them in effecting people,s minds and directing El-Mensoor himself . through recognizing their resources and the nature of their tellers

The research shows the role such kind of news played in directing El-Mensoor,s political opinion during his Khali